

محنة العقل اللبناني

الكاتب



نسيم الخوري

د. نسيم الخوري

عثرت على رسالة للشاعر سعيد عقل مذيبة بتوقيعه بتاريخ 13 يونيو/حزيران 2000 وأنا منهمك بنهاية حياتي الأكاديمية ومناقشة دكتوراه أشرفت عليها حول «مستقبل الفرنكوفونية في لبنان». ذكرت الفرنكوفونية لا للمصادفة وحسب، بل للفشل الذريع بانتخاب رئيس للجمهورية اللبنانية بحثاً عن السيادة في الخارج. يحكم التعثر العام لبنان في التقاط سيادته، ويبدو حجم الملفات والمقابلات والدراسات والأشرطة لسياسيين ينضّدون ياقاتهم هائلاً، ولا ينضّدون ألسنتهم وعقولهم ملوّحين دوماً بالحرائق بدلاً من الحقائق، وكأنهم امتهنوا إيقاع الداخل بالخارج فتقوى التناقضات ويتجدّد البحث الدائم عن الجمهورية.

يطرح الوضع أمرين

أولاً: محنة العلاقة المتلبسة بين العقل السياسي اللبناني المُشابه لدوران الكرات فوق الملاعب بين أيدي اللاعبين * السياسيين. الهدف من السؤال البحث عن محنة العقل في السياسة

لماذا العقل؟

أ- لأننا، وفقاً للاشتقاق الثلاثي في لغة الضاد، إذ نَعْلُ العقل، فإننا نربطه بفكرٍ دوّارٍ كما الكرة المتحركة، ونصبح كمن يربط الرسغ إلى العضد بالعقال العتيق

ب- ولأننا إذ نلعقُ العقل لعقاً فكأننا نلحسه بالألسنة والأصابع ولن نظفر بطعمه وقيمه بتسهيل فكّ العقد المُزمنة وبناء

الأوطان.

جـ- عندما نلْقَ العقل أي نرميه أرضاً يُصبح وكأنه عشّ من الذباب الأخضر الذي يلسع المواطنين ويتوه بهم

د- ولأننا عندما نلْقَ العقل من جذوره، تُصبح الرؤوس صلبةً يسهل تعدادها وإضاعته بلا تمييز أو نتائج مثمرة

هكذا يبدو لبنان للعالم اليوم، مكاناً أو رقعةً الحياة فيها أصعب من الموت

ثانياً- كيف نخلّص إذن بتلك العقول المتناقضة الشاردة خارج المعنى وطناً يتأرجح بين الداخل والخارج أو بين * الحقائق والحرائق؟

في الجواب كتب الشاعر سعيد عقل في العلاقات اللبنانية السورية منذ ربيع قرن

للتاريخ... قال الرئيس حافظ الأسد «لا» في وجه اثنين من كبار سياسيي لبنان... عرضاً عليه أن يكون لبنان بلداً واحداً مع سوريا. في اليوم التالي، كرّر تلك «اللا» حاسمةً في وجه أحدهما الذي رجع إليه عارضاً إقامة كونفدرالية بين لبنان وسوريا والأردن

بهاتين اللاتين التاريخيتين يكون الأسد أضاف دولةً نهائيةً إلى عقد دول العالم تُقرّ بأنّ لبنان دولة ذات سيادة كأعرق الدول.

وبشأن هذا الأمر بالذات، عمل الأسد أكثر

عاتب (الأسد) سياسياً من لبنان، كان قد قدّم إليه كتاباً ألفه، على إغفاله في كتابه خبر اللاتين واجه بهما هذين .. السياسيين اللبنانيين. قصد الأسد بعبابه، أنهما غاليتان على قلبه تانك اللاتان جاءتا بحجم الشرف يعتلج في قلب الأسد.

أتصوّر الأسد، الضابط الطيّار، من سبق له أن لاعب الموت هو وطائرتة، خلال مهنته كمحارب، راح يقارن بين العرضيين وما يردده أفذاذ لبنان من أقوال لعظام العالم فيهم أو في بلادهم. ومنها قول هوميروس أنهم «شعب الآلهة» و«حملة لغة الآلهة». بلى أتصور الأسد قارن بين الأقوال وعرضي رجل السياسة، فوجد العرضيين يتناقضان مع لبنان. ما عمل؟ لم يستمهل السياسيين اللبنانيين في أمر الجواب، وإنّما ردّ فوراً بتلك «اللا» التاريخية، وكان يكررها هي نفسها.

من أجل هاتين اللاتين التاريخيتين، أشرك دموعي بدموع الشعب السوري على الأسد، لأقول له الامتنان، لا باسمي وحسب، بل باسمي على أنني أنا لبنان. وسأفعل أكثر. نحن شعب واحد في بلدين أو في وطنين، أو شعوب لا تنتهي ذات هوية لبنانية.

غداً، يوم لا يبقى ولا عسكري أجنبي على أرض لبنان، سأقصد سوريا أزور ثلاثة

القرداحة حيث مثواه هو، والبرلمان ممثّل أمته، ورئاسة الدولة مقرّ خلفه، لأقول في الثلاثة أمكنة.. شكرنا باسم سيادتنا للرجل الذي شهد لكرامة سيادتنا

خصصت ذلك التصرف التاريخي، يبدر من الأسد تجاه وطني في يومين متتالين؛ لأنه كان تصرف الرجل الرجل الذي
«يضاف إلى تصرفات الرجال الرجال».

انتهى مختصر نص سعيد العقل

...وللتاريخ

فإن النص كانت طلبته مني في دمشق قريبتى الأدبية والسياسية كوليت الخوري، شهادة على الزمان الذي كنّا فيه وهو
يحتاج إلى ضرب «لا» معاصرة بكل أعداد الدول الخارجية في الكرة الأرضية؛ لأن وطننا مشلول وأعناقنا خارج لبنان

المعادلة الآن هي للتفكير والتأمل مذيلة بالحوار الداخلي؛ لأنه أمضى من دعوة دول العالم تتزحلق فوق لزاجة مواقفنا
رهن الطلب ومعظم مسؤولينا يدورون فوق طواحين الكهرباء المظلمة أو المياه الناشفة يغمرنا طحين الكلام المملوك
المتكرر منذ مئة سنة لم ينتج سطرًا مفيداً في بناء الغد والسيادة

drnassim@hotmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024.